

نراشنا

النجوم الزاهرة

ملوك مصر والقاهرة

تأليف

جمال الدين أبي الحاسن يوسف بن تغرى بردى الأتابكى

الجزء الثالث عشر

تحقيق

فهم محمد شلنوت

الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر

١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقديم

كتاب النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لأبى الحسن يوسف بن تفرى بردى المتوفى في أخريات سنة أربع وسبعين وثمانمائة هجرية من الكتب القلائل التي جعلت الأحداث في مصر وما يدور في فلكها من الأقاليم والأطراف مدار بحثها ، إلا أنه ينفرد من بينها بأنه أجمعها وأسلسها لغة ، وأبعدها عن الحشو ، وأكثرها تنظيماً ، وأشدّها اهتماماً بألوان الحضارة المختلفة وتطورها على مدارج التاريخ في الدولة العربية .

ثم هو يعدّ في أجزائه من الأوّل إلى الثاني عشر — وهي التي تعالج الحقبة التاريخية من سنة عشرين من الهجرة إلى سنة إحدى وثمانمائة — واسطة بين الكتب والموسوعات التاريخية التي اهتمت بمعالجة الأحداث في تلك الحقبة ، فهو وإن اعتمد عليها في تأليف مادته فإنه تميز عليها في كثير من المواطن بأحكامه الصادقة واستنباطاته السليمة . ثم هو فيما بعد ذلك إلى سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة من الهجرة يعتبر عمدة في تاريخ مصر والأطراف إذا ما قورن بغيره من الكتب التي تعرضت لأحداث ما بعد السنة الحادية والثمانمائة من الهجرة .

ومن هنا لقي هذا الكتاب اهتماماً بالغاً من العلماء العرب والمستشرقين ابتداء من سنة ١٨٥٥ م فقصروا منه أجزاء تكاد تشمل كله . ومن قبل أمر السلطان سليم الأول العثماني بترجمته إلى اللغة التركية . بل ترجم إلى اللغة اللاتينية وغيرها .

وكان لاهتمام القسم الأدبي بدار الكتب بتحقيق أجزاء منه ونشرها فضل كبير في تيسير الاستفادة به ، ولقد بدأ في نشره سنة ١٩٢٩ م ثم توقف عن الاستمرار في نشره بعد أن أخرج الجزء الثاني عشر سنة ١٩٥٦ م .

ثم أخذت المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر على عاتقها مسئولية تحقيق الأجزاء الأربعة الباقية منه والتي لم يسبق نشرها في مصروفنا للمنهج الذي نهجه القسم الأدبي .

وأُسند تحقيق هذا الجزء الثالث عشر إلى العالم الجليل الأستاذ / حسن عبد الوهاب ولكنه توفي إلى رحمة الله قبل أن يبدأ في التحقيق ، وتعثرت بقية الأجزاء أيضاً في مرحلة التحقيق لأسباب مختلفة .

ولما توليت منصب رئيس مجلس إدارة المؤسسة ، وأطل علينا عام الاحتفالات بالعيد الألفى لمدينة القاهرة وجهت اهتمامي إلى دفع الأجزاء الباقية في مراحل التحقيق والنشر .

فأسندت المؤسسة تحقيق هذا الجزء الثالث عشر إلى الأستاذ / فهمي محمد شلتوت ، وطلبت منه أن يفرغ جهده كله لتحقيقه وعمل فهارسه بحيث يكون بداية في طبع الأجزاء الأربعة الباقية . وقد قام السيد / الحق بواجبه في إخلاص وأمانة وأنجز التحقيق والفهارس على خير وجه .

والجزء الثالث عشر هذا يعالج حقبة من تاريخ العالم العربي والأطراف الدائرة في فلكه ، وهي حقبة سلطنة الملك الناصر فرج بن برقوق (٨٠١هـ - ٨١٥هـ) وما تخللها من سلطنة أخيه الملك المنصور عبد العزيز . ثم سلطنة الخليفة المستعين بالله العباس ، وقد شهدت فيها مصر وما والاها أحداثاً لم تشهد مثلها من قبل .

شهدت فيها غزو تيمورلنك لسوريا (٨٠٢ - ٨٠٣هـ) وما كان من عجز السلطان وولائه عن دفع هذا الغزو ، ثم ما كان من تلك المذابح التي تميز بها الغزو التتري المغولي والتي لم يسجل مثلها التاريخ بشاعة وقسوة .

وشهدت هذه الحقبة أيضاً أسوأ صورة للخلاف والصراع بين سلطان وكبار رجال دولته بحيث فنى كثير منهم تحت عقوبته وبحد سيفه . ومع ذلك استمروا في صراعه حتى تغلبوا عليه وقتلوه بقلعة دمشق سنة ٨١٥هـ .

وشهدت فيها قيضاصور فن النيل (٨٠٦ - ٨٠٧هـ) مما أدى إلى الجذب العظيم الذى شمل البلاد وأصابها بسنة من السنين العجاف التي حلت بالدولة الإسلامية على مدارج التاريخ .

وشهدت هذه الفترة أيضاً انتشار الطاعون (٨٠٨هـ ، ٨١٣هـ) والموتان المنتشر بين السكان شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً .

كما شهدت الفلاء الفاحش والفقر المدقع والجوع الشامل .

وانعكس أثر ذلك كله في الحياة السياسية والاقتصادية والعمرانية ففسدت الأحوال وتولى الأمور من لا يحسن أداها ، وتوصل كل طالب وظيفة إليها بالرشوة والبذل ، ثم تساط بد ذلك على رقاب ذوى الحرف والتجار والزراع يفرض عليهم أنواع الضرائب والإتاوات ، ولا يكف عن طلبها ولا يعف

في تحصيلها ، وابتلي أهلُ الريف خاصة بكثرة المغارم وتنوع المظالم ، فاختلفت أحوالهم ، وجلوا عن أوطانهم .

وكما يقول تقي الدين المقرئى^(١) : « فاقضى الحال من أجل ذلك ثورة أهل الريف ، وانتشار الزُّعَّار وقطاع الطريق . . . وتزايدت غباوة أهل الدولة ، وأعرضوا عن مصالح العباد . . . ثم إن قوماً ترقوا في خدم الأمراء يتولفون إليهم بما جَبَّوا من الأموال . . . فأنجسوا مزيداً من القُرْبَة منهم — ولا وسيلة أقرب إليهم من المال — فتعدوا إلى الأراضي الجارية في إقطاعات الأمراء ، وأحضروا مستأجرها من الفلاحين وزادوا في مقادير الأجر . . . وجعلوا الزيادة ديدنهم في كل عام حتى بلغ الفدان — لهذا العهد — نحواً من عشرة أمثاله قبل هذه الحوادث . »

ولقد كان ذلك الخراب الذي نزل بالديار المصرية ، وقضى على كثير من المنشآت العمرانية نتيجة للإهمال ، ولاستحواز السلطان وبطائه على أوقافها وتوجيه أرباعها إلى مصارف أخرى ، وأصبح الحديث عن سنة ٨٠٦ هـ — فيما تلاها من الأزمان — يعطى صورة لأفدح ما أصيبت به الآثار العمرانية — التي وصلت إلى قمة الفن المعمارى للعصر المملوكى والأيوبى والفاطمى — من الهدم والخراب والاندثار .

وإني إذ أقدم هذا الجزء الثالث عشر للقارئ فإنتى أرجو أن يجد بقية

(١) إغاثة الأمة بكشف الغمة ٤٦ - ٤٧ ، وأنظر ما نقله أبو الحسن يوسف بن تغرى بردى عن الشيخ تقي الدين المقرئى في الناصر فرج بن برقوق وعهده ص ١٥١ - ١٥٣ من هذا الجزء .

الأجزاء الأربعة من الكتاب بين يديه تبعاً بإذن الله ، حيث إنه قد تم تحقيقها
وأخذت طريقها إلى المطابع .
ولعل نشر هذه الأجزاء من هذا الكتاب يكون بمثابة تحية من الهيئة
المصرية العامة للتأليف والنشر للقاهرة في عام أعيادها الألفية .

والله ولي التوفيق ؟

دكتورة
سهير القلماوى

شوال سنة ١٣٨٩ هـ .

ديسمبر سنة ١٩٦٩ م .